وقائع مؤتمر

الإمام الحسين الدولي الرابع عليه السلام

٢٢٩ / ٣٠٧٠٦٣
م ٤٩٨ مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي (٤ : ٢٠٢٣: كربلاء).
وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الرابع: القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة/ المؤتمر . - ط١. -
كربلاء: دار الوارث ،٢٠٢٣.
٨٢١ص. :٢٤سم
١. القرآن والمجتمع - مؤتمرات. / . العنوان.
م. و .
٣٦١٥ / ٢٠٢٣
المكتبة الوطنية / الفهرسة أثناء النشر

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٣٦١٥) لسنة ٢٠٢٣

الناشر: دار القرآن الكريم - العتبة الحسينية المقدسة
التصميم والاخراج الفني: قحطان عامر الطائي
الطبعة/ الأولى
سنة الطبع/ ١٤٤٥ هـ / ٢٠٢٣
المطبعة/ دار الوارث للطباعة والنشر

تمت ترجمة الملخصات في العتبة الحسينية المقدسة، مركز الاعلام الدولي،
ترجمة: أبا الحسن عباس

وقائع مؤتمر

الإمام الحسين عليه السلام الولي الرابع

المنعقد بعنوان

القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة

بالتعاون مع جامعة الزهراء عليها السلام للبنات في كربلاء المقدسة

للمدة من ١٥-١٧-٢٠٢٢م

الموافق ٨-١٠ شوال ١٤٤٣هـ

اللجنة المشرفة

أ. د. زينب عبد الحسن الملا السلطاني/ رئيس جامعة الزهراء عليها السلام للبنات

أ. د. نجاح فاهم العبيدي/ جامعة كربلاء

د. الشيخ خير الدِّين الهادي/ رئيس قسم دار القرآن الكريم

د. السيد مرتضى جمال الدِّين/ المعاون العلمي لرئيس قسم دار القرآن

اللجنة العميَّة

أ.د. ضرغام كرم كاظم الموسوي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة كربلاء

أ.د. خليل شكري هيَّاس/ رئيس قسم اللغة العربيَّة جامعة الموصل

أ.م.د. طلال فائق مجبل الكمالي/ عميد كليَّة العلوم الإسلاميَّة جامعة الوارث

أ.م.د. سحر ناجي فاضل المشهدي/ الكليَّة التربويَّة المفتوحة مركز النجف الأشرف

أ.م.د. خالد محمود حمي/ جامعة الموصل

م. د. عماد طالب موسى/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

م. د. عمَّار حسن عبد الزَّهرة/ وزارة التربية مديريَّة تربية كربلاء

د. باسم دخيل مراد العابدي/ كليَّة المعارف الإسلاميَّة

م. م. علي فليح علي الفتلاوي/ جامعة كربلاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء (١١٤)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

الحمد للهِ الذي لا تُدركه الشواهد، ولا تحويهِ المشَاهِد، ولا تراهُ النَّواظِر، ولا تحجُبُهُ السَّوَاتِر، الـدَّالِ على قدمهِ بحدوثِ خلقِهِ على وجـودِه، وبحدوثِ خلقهِ على وجودِه، وباشتباهِهم على أن لا شَبَه له، الذي صدق في مِيعادهِ، وارتفع عن ظُلمِ عِباده، وقامَ بالقِسطِ في خلقِهِ، وعَدَلَ عليهِم في حكمه، مستشهدًا بحدوثِ الأشياءِ على أزليته..

اللهمَّ اجعل شرائف صلواتِك، ونوامي بركاتِك، على محمَّدٍ عبدِك ورسولِك، الخاتِم لمَا سبق، والفاتِح لما انغلق، والمُعْلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدَّامغِ صولاتِ الأضاليل.

وصلِّ اللهمَّ على أهلِ بيته، شجرةِ النُّبوَّة، ومحطِّ الرِّسالة، ومختلفِ الملائكة، ومعادن العِلم، وينابيعِ الحُكم.

وبعد ...

فقد عمل قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة على رعاية كتاب الله تعالى بشتَّى الجوانب، وبذل الجهود الكبيرة من أجل توثيق الصِّلة بينه وبين المجتمع على اختلاف شرائحه، وكان نتيجة ذلك انبثاق مشاريع كثيرة يطول ذكرها، ومن تلك المشاريع إقامة المؤتمرات السنويَّة الدَّوليَّة؛ بغية تصدير المعرفة القرآنيَّة إلى المؤسَّسات العلميَّة والحوزويَّة والأكاديميَّة، ومن جملة المؤتمرات التي يرعاها قسم دار القرآن الكريم في العتبة الحسينيَّة المقدَّسة مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدَّولي السنوي، وقد عُقِد في نسخته الرابعة بعنوان: (القرآن الكريم وقضايا المجتمع المعاصرة) الموافق ١١/ ٥/ ٢٠٢٢ م.

وذلك لما لهذا الموضوع من أهميَّة قصوى في الحياة المعاصرة نتيجة ظهور آفاتٍ مجتمعيَّةٍ كثيرةٍ، فكان لزامًا أن تتصدَّى المؤسَّسات العلميَّة لوضع بعض المعالجات، وأهمُّ الأسس في هذا الجانب القرآن الكريم بوصفه العماد الأساس في تربية الإنسان وضمان الحياة الكريمة له، بعيدًا عن الشذوذ والآفات المجتمعيَّة، فكان القرآن الكريم خير معتمدٍ في مواجهة ما تعمل عليه الجهات العالميَّة المنحرفة في إشاعة السلبيات بين فئات المجتمع؛ إرضاءً لانحراف سلوكهم، أو بغية تحقيق مآرب مشبوهةٍ، أو منافع شخصيَّة، أو تحقيق هدفٍ شيطاني تسعى إليه القوى المهيمنة الظالمة في حربها لله تعالى وأوليائه، ومن هنا فإنَّهم بدأوا باستهداف القرآن الكريم حرقًا فيه وتمزيقًا له وبثًّا للشبهات في مضامينه؛ لمعرفتهم بقوَّة تأثيره في مواجهة انحرافهم ومآربهم، ولهذا فإنَّ علينا أن نبذل كلَّ ما بالوسع من أجل إيصال رسالة القرآن الكريم إلى كلِّ أرجاء المعمورة؛ حتَّى يعمَّ نوره كلَّ موطنٍ فيها وتكون الحجَّة البالغة لله تعالى، وعلى هذا الأساس كان انطلاق دار القرآن الكريم في عملها المعرفي من جعل القرآن الكريم والعترة الطاهرة أساسًا في تبنِّي المشاريع الإصلاحيَّة، إيمانًا بحديث الثقلين الذي جعل الرسول صلى الله عليه وآله القرآن وأهل بيته العاصمين من الضَّلال، ومن هنا عوَّل قسم دار القرآن الكريم في هذا المؤتمر على مراقبة بعض الأطر الإصلاحيَّة في القرآن الكريم على وفق ستِّة محاورٍ هي:

١. أنماط العلاقات الاجتماعيَّة على وفق المنظور القرآني.

٢. المجتمع المثالي في ضوء النَّصِّ القرآني.

٣. تحديات الحياة اليوميَّة وصورة معالجتها قرآنيًّا.

٤. القرآن والتغيرات الثقافيَّة.

٥. تقييم المشكلات الاجتماعيَّة المعاصرة من المنظور القرآني.

٦. الإصلاح الاجتماعي عند الإمام الحسين عليه السلام من المنظور القرآني.

وقد ورد لقسم دار القرآن الكريم بإزاء هذه المحاور مجموعة من البحوث تربو على الخمسين بحثًا من دول مختلفة، ناقشت مجموعة من القضايا المجتمعيَّة المعاصرة مع وضع بعض الحلول التي تلائم تلك القضايا من القرآن الكريم، وبعد عرضها على اللجان العلميَّة ترشَّح عدد منها وعمد قسم دار القرآن الكريم أن يطبعها في هذه الوقائع؛ تلبيةً للحاجة المعرفيَّة، وإسهامًا منه في رفد المكتبة الإسلاميَّة بالدِّراسات والبحوث الرصينة المعتمدة على المنهج العلمي في متابعة الأفكار ورصدها.

وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّى الله على محمَّدٍ وآله الطاهرين

العنوانُ: البعدُ الْقُرْآني فِي قَوْلِ الإمام الْحُسَيْنِ عليه السلام «رضى اللهُ رضانا أَهْل الْبَيْتِ».

الباحثُ: الاستاذ المساعد الدَّكتور أَحمد حَسَن قاسم.

مكان العمل: جامعة ذي قار/ كلية التربية للبنات.

الملخص:

يعدُ مَفْهُومَ الرِّضَا مِنْ أَفْضَلِ مَقَامَات الدِّينِ، وأَشْرَفِ مِنْازل المقربَيْنَ، وهُوَ بَابُ اللهِ الأعظم الَّذِي يَرجاه كلّ مؤمِنْ ومؤمِنْةٍ، كَمَا أَنَّه أَكْبَرُ مكانَة مِنْ الجنَّةِ نفسها، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ (التَّوبة ٧٢)، وقد سَعَى الْأَنْبِيَاءُ جاهدَين فِي تحقيَّقِ هَذَا المفهُوَم وتحصِيَّله، فجاءَ فِي طَلَبِ زَكَرِيَّا عليه السلام قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ (مريم ٦)، ومِنْ هُنَا أَوْلَى العَارِفُونَ والسَّالِكونَ إِلَى الله تَعَالَى اهتمامًا بالغًا لمَفْهُوم الرِّضَا لِمَا يترتبُ عَلَيْهِ مَقَامَاتٍ كَمَالِيةٍ، ونتَائجٍ عَمَّلِيةٍ فِي السَّيْرِ والسَّلوك إِلَى اللهِ تَعَالَى.

ورُبَّمَا يُقَدحُ فِي الذَّهنِ سُؤَالٌ لِمَاذَا الرِّضَا أحتلَ هَذَا الْمَقَامَ والمِنْزلة؟. ببداهةٍ لإنَّ الرِّضَا فَرَعُ الحُبِّ والقَبُولِ؛ وما يَقابلهُ مِنْ مَعْنَى هُوَ السَّخَطُ الَّذِي هُوَ فَرَعُ الكَرَاهَةِ والغَضَبِ، وهَذَا ما أَشَارَ لَهُ الْقُرْآن الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْهُمْ مِنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾ التوبة ٥٨-٥٩ وبطبيعةِ الحالِ لَيْسَ لعاقلٍ أنْ يَلْجَأَ إِلَى السَّخطِ عَلَى الرِّضَا لمَّا فيه من النتائجِ مترتبة عليَّهما. وبَعْدَ هذا البيان جازَ ليّ أن أجعله سببًا في أختياره بوصفه موضوعا لبحثي المقدم الذِّي سأدرس فيه حقيقة الرَّضا الذِّي أَشَار إليه الإمام الحسين في قوله وأثرها الدَّلالي في القرآن الكريم، وما يترتب عليه من آثار كمَّالية نستفيد منها في نسجِ منظومةٍ معرفيةٍ حقيقةٍ لفهم مقامات الائمة الاطهار عليهم السلام المغيبة.

الكلمات المفتاحيَّة: البعدُ الْقُرْآني، الإمام الْحُسَيْن عليه السلام، «رضى اللهُ رضانا أَهْل الْبَيْتِ».

Summary:

The concept of satisfaction is considered one of the best religious levels and the most honored place for heaven-close people. It's Allah's Greatest door that every believer looks for, as it has a better level than heaven itself.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ 72

(Allah has promised the believing men and believing women gardens beneath which rivers flow, wherein they abide eternally, and pleasant dwellings in gardens of perpetual residence; but approval from Allah is greater. It is that which is the great attainment.)

The prophets had sought tirelessly in order to achieve this concept. At prophet Zakaryyia's request, he said:

﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ 6

Who will inherit me and inherit from the family of Jacob. And make him, my Lord, pleasing [to You]."

Starting from here, the knowers & followers of Allah gave intense care to the satisfaction concept, for what comes after perfectionism levels, and practical results in good-following for Allah.

Perhaps a question might arise in minds, as to why the satisfaction got such a place & importance? Simply satisfaction is a branch of love & acceptance, and the opposite meaning is dissatisfaction which is a branch of hate & angriness. And that is what the Holy Quran referred to Allah said:

وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ

(And among them are some who criticize you concerning the [distribution of]

charities. If they are given from them, they approve; but if they are not given from them, at once they become angry. If only they had been satisfied with what Allah and His Messenger gave them and said, "Sufficient for us is Allah ; Allah will give us of His bounty, and [so will] His Messenger; indeed, we are desirous toward Allah," [it would have been better for them].

In general, there's no Straight Human Being who prefers Dissatisfaction over Satisfaction concerning bad results; after all of what has been mentioned, I made it a reason to address the title of my presented research with it that I will study in it the reality of satisfaction that Imam Hussain has mentioned in his speech, its connotation effectiveness in Holy Quran, and what comes after of the perfectionism, which we will gain from its benefits a great knowledge system to understand Ahlualbayet.

مقدمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وبعد.

يعدُّ مَفْهُوم الرِّضَا مِنْ أَفْضَلِ مَقَامَات الدِّينِ، وأَشْرَفِ منْازل المقربَيْنَ، وهُوَ بَابُ اللهِ الأعظم الَّذِي يَرجاه كلّ مؤمِن ومؤمِنْةٍ، كَمَا أَنَّه أَكْبَرُ مكانة مِنْ الجنَّةِ نفسها، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنْ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التَّوبة: ٧٢]، وقد سَعَى الْأَنْبِيَاءُ جاهدَين فِي تحقيقِ هَذَا المفهُوم وتحصِيله، فجاءَ فِي طَلَبِ زَكَرِيَّا (عَلَيْهِ السَّلَام) قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ [مريم: ٦]، ومِنْ هُنَا أَوْلَى العَارِفُونَ والسَّالِكونَ إِلَى الله تَعَالَى اهتمامًا بالغًا بمَفْهُوم الرِّضَا؛ لِمَا يترتبُ عَلَيْهِ من مَقَامَاتٍ كَمَالِيةٍ، ونتَائجٍ عَمليةٍ فِي السَّيْرِ والسّلوك إِلَى اللهِ تَعَالَى.

ورُبَّمَا يُقَدحُ فِي الذّهنِ سُؤَالٌ لِمَاذَا الرِّضَا احتلَّ هَذَا الْمَقَامَ والمِنْزلة؟. ببداهةٍ لأنَّ الرِّضَا فَرَعُ الحُبِّ والقَبُولِ؛ وما يَقابلهُ مِنْ مَعْنَى هُوَ السَّخَطُ الَّذِي هُوَ فَرَعُ الكَرَاهَةِ والغَضَبِ، وهَذَا ما أَشَارَ لَهُ الْقُرْآن الْكَرِيمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَمِنْهُمْ مِنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ**﴾ [التوبة: ٥٨-٥٩] وبطبيعةِ الحالِ لَيْسَ لعاقلٍ أَنْ يَلْجَأَ إِلَى السَّخطِ ويقدِّمه على الرضا؛ لما فيه من النتائج السيئة. وبَعْدَ هذا البيان يصح لي أن أجعله سببًا في اختياره بوصفه موضوعًا لبحثي المقدم الذِّي سأدرس فيه حقيقة الرضا الذِّي أشار إليه الإمام الحسين في قوله الآنف الذكر، وأثره الدَّلالي مقاربًا إيَّاه مع ما في القرآن الكريم، وما يترتب عليه من آثار كمالية نفيد منها في نسج منظومة معرفية حقيقة لمقامات الأئمة الأطهار (عليهم السلام) المغيبة.

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أمرين هما:

أولا: الوقوف على حقيقة الرضا ومستوياته الأخلاقية والكمالية من طريق القرآن الكريم.

ثانيا: الكشفُ عن الأثر القرآني في قول الإمام الحسين عليه السلام، ومدى استعمال اللفظ الحقيقي الدَّال على معناه الذي يقصده من دون سواه.

مشكلة البحث: ثمة مسائل طالما تطرح على بساط الاتهام وهي: أنَّ الشيعة يغالون بأئمتهم وينسبون لهم أشياء تخرجهم عن بشريتهم التي مقتضاها أنْ يكونوا عبادًا لله لا أربابًا من دونه. من تلك المسائل هي مسألة «الرضا» وكيف لله أن يحصر رضاه بخلقه!؟. فأريد من طريق هذا البحث أنْ أجيب عن هذه الإشكالية من طريق القرآن الكريم من دون غيره.

هيكلية البحث: يضم البحث تمهيد، ومقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وقد ذيلته بقائمة للمصادر. **بحسب الآتي:**

المقدمة: ذكرتُ فيها سبب اختيار الموضوع، وأهميته، ومشكلته، وتقسيماته.

التمهيد: ذكرت فيه المفاهيم التأسيسية لمفهوم الرضا بلحاظ اللغة والمصطلح.

المبحث الأول: تطرقتُ فيه إلى «رضا العبد» ونتائجه

المبحث الثاني: عرضتُ فيه الرضا المتبادل بين العبد والرَّب، ونتائجه.

المبحث الثالث: بينتُ فيه حصر رضا الرَّب في رضا العبد، من طريق قول الإمام الحسين «عليه السلام» الذي يعد محور البحث.

مصادر البحث: اعتمدت على أهم المصادر التفسيرية والمصادر الأخلاقية واللغوية في فهم حقيقة الرضا.

نسأل الله تعالى أنْ يمدَّ لي يد العون في تمام بحثي الموسوم «**البعدُ الْقُرْآني فِي قَوْلِ الإمام الْحُسَيْنِ عليه السلام «رضى اللهُ رضانا أَهْل الْبَيْتِ**» وأن يوفقني في الإجابة عن كل ما يتعلق بهذه المسالة التِّي اتهموا بها الشيعة ظلمًا وبهتانًا.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

التمهيد:

قبل الخوض في خلجات البحث لابدَّ من تعريف مدلولي «الرضى» اللغوي والاصطلاحي، وتوثيق قول الإمام الحسين عليه السلام من جهة السند، فالتعريف والتوثيق يعدان الأساسين اللذين يبتني عليهما البحث وتقسيم مباحثه وتوظيف معناه.

أولا: الرضا لغة:

قال ابن منظور: الرِّضا مقصورٌ، ضدُّ السَّخَطِ وتثنية الرِّضا رِضَوانِ ورِضَيانِ الأُولى على الأَصل، والأُخرى على المُعاقبة وكأَنَّ هذا إنما ثُنِّيَ على إرادة الجنس الجوهري. كما قالوا: غَزْيا أَسكن العينَ، ولو كسرها لحذفَ؛ لأَنَّه لا يَلْتَقي ساكنان حيث كانت لا تدخلها الضمة وقبلها كسرة، وراعَوا كسرة الضاد في الأَصل، فلذلك أَقروها ياء وهي مع ذلك كله نادرة، ورَضيتُ عنك وعَلَيْكَ رِضى مقصورٌ مصدرٌ مَحْضٌ والاسمُ الرِّضاءُ ممدودٌ عن الأَخفش. قال القُحَيْفُ العُقَيْلي:

إذا رَضِيَتْ عَليَّ بَنو قُشَيْرٍ

لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَني رِضاها[1]

عدّاه بعَلى لأَنَّه إذا رَضِيَتْ عنه أَحَبَّتْه وأَقْبَلَت عليه فذلك اسْتَعْمل على بمعنى[2].

وقَالَ الرَّاغبُ فِي مُفرَدَاتِهِ: «رَضِيَ يَرْضَى رِضًا، فهُوَ مَرْضِيٌّ وَمَرضُوٌّ، ورِضَا العَبْدِ عَنْ اللهِ: أنْ لا يَكرَه ما يَجْزِي بِه قَضاؤُهُ[3]، ورِضَا اللهِ عن العَبْدِ هُوَ أنْ يَرَاهُ مؤْتِمرًا لِأمرِه ومِنْتهيًا عن نهيْهِ، وعلى وفق ما ذَكرَ الرَّاغبُ أنَّ الرِّضَا عِلَاقَةٌ دَائِرَةٌ بَيْنَ العَبْدِ والرَّب، فِيكونُ العَبْدُ راضٍ بقضاء الله؛ فهُوَ رضي، وقدْ يكونُ الرَّب راضٍ عَنْ عَبْدِهِ؛ فهُوَ مرضي.

(١) الاخفش، معاني القرآن: ج١، ص٥١.
(٢) ابن منظور، لسان العرب: ج١٤، ص٢٣.
(٣) الراغب الاصفهاني، المفردات: ص٣٥٦.

ثانيا: اصطلاحا.

اختص علماء العرفان والأخلاق بالبحث من دون سواهم عن مفهوم «الرضا»؛ لأنَّه يعد أحد كمالات النفس الإنسانية فلا تكاد مصنفاتهم تخلو عن «الرضا» ومقاماته وشرطه. ذكر ابن قيم الجوزية تعريفات عدَّة منها[١]:

قال الجنيد البغدادي: الرضى هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا.

وقال عطاء: الرضا سكون القلب إلى قديم اختيار الله للعبد أنَّه اختار له الأفضل فيرضى به، وقيل: الرضا ارتفاع الجزع في أي حكم كان. وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

وقال: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله للعبد، وهو ترك السخط.

وقال الجرجاني: سرور القلب بمرّ القضاء[٢].

وقال النراقي: الرضا ضد السخط، وهو ترك الاعتراض والسخط باطنًا وظاهرًا، قولًا وفعلًا، وهو من ثمرات المحبة ولوازمها[٣].

سند قول الإمام الحسين عليه السلام:

روى الشيخ السيد ابن طاووس عن أبي جعفر بن جرير الطبري «الإمامي»، قال حدثنا أبو محمد بن سفيان بن وكيع عن أبيه، عن الأعمش قال: قال لي أبو محمد الواقدي وزرارة بن خلج أنَّه لما عزم على الخروج إلى العراق قام خطيبًا، فقال: «**الحمد لله ما شاء الله ولا قوة إلا بالله وصلى الله على رسوله وسلم، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني**

(١) ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين، ج٢، ١٤٤ وبعدها.
(٢) الجرجاني، التعريفات: ص٩١.
(٣) النراقي، جامع السعادات: ج٢، ص٣١٠.

إلى اشتياق أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخيَّر لي مصرعٌ أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها ذئاب الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منِّي أكراشًا جوفا وأجربةً سغبا، لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت،...»[1].

وبعد هذا أقسم بحثي على ثلاثة مطالب أساسية، أبين فيهن حقيقة الرضا ومستوياته في القرآن الكريم، والانعكاس الدَّلالي لقول الإمام الحسين عليه السلام ومراده. هي:

المبحث الأوَّل: رضا العبد.

المبحث الثاني: الرضا المتبادل بين العبد والرَّب.

المبحث الثالث: حصر رضا العبد برضا الرَّب.

المبحث الاول: رضا العبد:

رضا العَبْد هُوَ التَسْلِيمُ من دَون اعتراض باطنًا أو ظاهرًا وقَوْلًا أو فعلًا، وهو من ثمرات المحبة ولوازمها؛ إذ المحب يستحسن كلما يصدر عن محبوبه، وصاحب الرضا يستوى عنده الفقر والغنى، والراحة والعناء والبقاء والفناء والعز، والذل والصحة والمرض والموت والحياة، ولا يرجح بعضها على بعض[2]. وأستطيع القول إنَّ هناك نوعين من رضا العبد هما: السلبي والإيجابي.

أولًا: الرضا السلبي:

يمثل هذا النوع من الرضا هو أن يسلم العبد بأمر يحول بينه وبين طاعة الله تعالى، ونتيجته نتيجة وخيمة على صاحبه، لأنَّه استبدل طاعة الله بسخطه، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا النوع في مواطن كثيرة من القران الكريم وكذلك النتائج المترتبة على هذا

(١) ابن طاووس، الملهوف في على قتلى الطفوف: ص١٢٥-١٢٦.
(٢) النراقي، جامع السعادات: ج٢، ص٣١٣.

الفعل فمنها:

١. قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [**التوبة: ٣٨**]. فهنا الرضا في الحياة الدنيا على حساب طاعة الله وتلبية أمره بالجهاد في سبيله.

٢. قال تعالى: ﴿**فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ**﴾ [التوبة: ٨٣]. والرضا بالعقود مع الخوالف له نتائج سلبية على صاحبه، ولذا وضَّح الله هذه النتيجة في آية أخرى، قال تعالى: ﴿**رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ**﴾ [التوبة: ٨٧]

٣. قال تعالى: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ**﴾ [التوبة: ٥٨]. كذلك النتيجة المترتبة على الرضا على حساب السخط الناتج عن اللمز في الصدقات.

٤. قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ**﴾ [يونس: ٧]. رضا العبد في الحياة الدنيا يورث الغفلة عن الله سبحانه وتعالى، وهذا بطبيعته رضا سلبي لا يمت للكمال بصلة.

ثانيا: الرضا الإيجابي:

يعد هذا النوع من الرضا نوعًا إيجابيًا، فيرضى العبد عن ربِّه ويكون مسلّما له بكلِّ أحواله من الأقوال والأفعال، وقد ذكر الله سبحانه أنموذجا من هذا الرضا الذي نتيجته التسليم والانقياد، فجعله غاية في دعاء الأنبياء، وصفة يمتازون بها عن غيرهم في طلب ذريتهم، وهذا ما جاء على لسان زكريا(عليه السلام)، وهنا أذكر أنموذجين من رضا العبد الإيجابي، هما:

١. قال تعالى: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ [مريم: ٦]. وضع النبي زكريا عليه السلام طلبه في دعائه ليصور أمله في ذلك الوريث الذي يرجوه عندما يبلغ الشيخوخة: ﴿**وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ لا جبارًا ولا غليظًا، ولا متبطرًا ولا طموعًا. ولفظة (رضي) تلقي هذه الظلال. فالرضي الذي يرضى ويرضي. وينشر ظلال الرضا فيما حوله ومن حوله. ذلك دعاء زكريا لربِّه في ضراعة وخفية. والألفاظ والمعاني والظلال والإيقاع الرخي. كلها تشارك في تصوير مشهد الدعاء[١].

٢. قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥]. والتَّسْلِيمُ هُنَا الطَّاعةُ التَّامة لحُكمِ النَّبي (صلى الله عَلَيْهِ وآله وسلم)، وتنفِيذ قضائه؛ بروح الرّضا، وارتياح الْقَلْبِ؛ لا عَجزًا واضْطِرَارًا.

والآية الكريمة نزلت أنه: وقع خصام بين (الزّبير بن العوام) ـ وهو من المهاجرين ـ وبين رجل من الأنصار اسمه (حاطب بن أبي بلتعة) على سقي نخيلهما التي كانت متقاربة في المكان، فترافعا إلى النّبي صلى الله عليه وآله ـ وإذ إنَّ نخيل الزبير كانت أعلى مكانًا من نخيل الأنصاري، قال رسول الله صلى الله عليه وآله للزبير: «اسق ثمّ أرسل إلى جارك». وقد كانت هذه هي العادة في البساتين المتجاورة آنذاك. فغضب الأنصاري من حكم النّبي العادل هذا، وقال: يا رسول الله لئن كان ابن عمتك؟. فتلوَّن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله انزعاجًا من موقف الأنصاري وكلامه، فنزلت الآية الحاضرة تحذِّر المسلمين من مثل هذه المواقف.[٢] وإذا فكّكنا النص وقرأناه قراءة تأملية نجد أنَّ الله تعالى قد أقسم بذاته أنَّ أولئك النفر لا إيمان لهم؛ إلا بشروط قد بينها الفخر الرازي هي[٣]:

الشرط الأول: قوله تعالى: ﴿**حتى يُحَكّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾ وهذا يدل على أنَّ

(١) سيد قطب، في ظلال القران: ص٢٣٠٢.
(٢) ينظر: الواحدي، أسباب النزول، ص٨٥.
(٣) ينظر: الرازي، مفاتيح الغيب: ج١٠، ص١٦٩.

من لم يرض بحكم الرسول لا يكون مؤمنًا. بأنَّه لا يحصل لهم الإيمان إلا بأن يستعينوا بحكم النبي (عليه الصلاة والسلام) في كل ما اختلفوا فيه، فلزم بحكم هذه الآية أنَّه لا يحصل الإيمان إلَّا بحكمه وإرشاده وهدايته، وحققوا ذلك بأن عقول أكثر الخلق ناقصة وغير وافية بإدراك هذه الحقائق؟ وعقل النبي المعصوم كامل مشرق، فإذا اتصل إشراق نوره بعقول الأمة قويت عقولهم وانقلبت من النقص إلى الكمال، ومن الضعف إلى القوة، فقدروا عند ذلك على معرفة هذه الأسرار الإلهية.

والذي يؤكد ذلك أنَّ الذين كانوا في زمان الرسول صلى الله عليه وآله كانوا جازمين متيقنين كاملي الإيمان والمعرفة، والذين بعدوا عنه اضطربوا أو اختلفوا.

الشرط الثاني: قوله: ﴿ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ﴾ قال الزجاج: لا تضيق صدورهم من أقضيتك.

إنَّ الراضي بحكم الرسول صلى الله عليه وآله قد يكون راضيا به في الظاهر من دون القلب، فبين في هذه الآية أنَّه لا بدَّ من حصول الرضا به في القلب، إذ إن ميل القلب ونفرته شيء خارج عن وسع البشر، فليس المراد من الآية ذلك؛ بل المراد منه أن يحصل الجزم واليقين في القلب بأنَّ الذي يحكم به الرسول هو الحق والصدق.

الشرط الثالث: قوله تعالى: ﴿**وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ إنَّ من عرف بقلبه كون ذلك الحكم حقًا وصدقا قد يتمرد عن قبوله على سبيل العناد أو يتوقف في ذلك القبول، فبيَّن تعالى أنه كما لا بدَّ في الإيمان من حصول ذلك اليقين في القلب. فلا بدَّ أيضًا من التسليم معه في الظاهر، فقوله: ﴿**ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ**﴾ المراد به الانقياد في الباطن، وقوله: ﴿**وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا**﴾ المراد منه الانقياد في الظاهر.

أقول: إنَّ الرضا الإيجابي وتسليم العبد ليس دائما يعكس رضا الله تعالى وقبوله للعبد مالم يكون الرضا صادرًا من الله سبحانه، فنحن طَالَمَا سَمِعنا كَثيرًا يقولُ: «إنَّي

رَاضٍ بِقَضَاءِ الله تَعَالَى «وأني «مسلِّم أمري لله» فهَذَا الرِّضى والتسليم لا يَعكسُان رِضا الله وقبوله للعبد، ويبقى رَضاه غيرَ معروفٍ عَنْ عبده.

المبحث الثاني: الرضا المتبادل بين العبد والرَّب.

هذا النوع من الرضا أعلى مقامًا من الأول، لأنَّ فيه الرّضا المتبادَل، أي رضا الرَّب عن عبده، ورضا العَبْد عَنْ ربِّه وهو غاية الكبرى والمنزلة العليا، وقد ذكره الله سبحانه وتعالى في أربعة مواطن من القرآن الكريم هي:

١. قال تعالى: ﴿**قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [المائدة: ١١٩].

قد ذكر الله سبحانه خبر حواريي عيسى بن مريم عليه السلام، ووصفهم بالصادقين بعد ذكر بساتين الجنّة ونعمها الكثيرة، تذكر نعمة رضا الله تعالى عن عباده، ورضا عباده عنه وتصف ذلك بأنّه الفوز العظيم، وهذا يدل على مدى أهمية هذا الرضا المتبادل، فقد يكون امرؤ غارقًا في أرفع نعم الله، ولكنّه إذا أحس بأنَّ مولاه ومعبوده ومحبوبه ليس راضيًا عنه، فإنَّ جميع تلك النعم والهبات تصير علقمًا في ذائقة روحه. كما يمكن أن يتوفر لامرئ كل شيء، ولكنه لا يكون راضيًا ولا قانعًا بما عنده، فمن الواضح أنّ هذه النعم بأجمعها غير قادرة على إسعاد تلك الروح، بل تكون دائمًا معرضة لعذاب قلق غامض واضطراب نفسي مستمر يقضيان على الراحة النفسية، التي هي من أعظم نعم الله تعالى. ثمّ إذا كان الله تعالى راضيًا عن امرئ فإنّه يعطيه كل ما يريد، فإذا أعطاه كل ما يريد فإنَّه يكون راضيا عن ربّه أيضًا، من هنا فإنّ أعظم النعم هي أن يرضى الله عن الإنسان ويرضى الإنسان عن ربّه[١].

(١) الشيرازي، مكارم، الامثل، ج٤، ص١٣٩.

٢. قَالَ تَعَالَى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأولونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١٠٠].

ذكر الله سبحانه ثالث الأصناف الثلاثة بقوله: «والذين اتبعوهم بإحسان» و لم يقيده بتابعي عصر من دون عصر ولا وصفهم بتقدم أوأولية و نحوهما، وكان شاملا لجميع من يتبع السابقين الأولين، وكان لازم ذلك أن يصنف المؤمنين غير المنافقين من يوم البعثة إلى يوم البعث في الآية ثلاثة أصناف: السَّابقون الأولون من المهاجرين، والسَّابقون الأولون من الأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، والصنفان الأولان فاقدان لوصف التبعية وإنما هما إمامان متبوعان لغيرهما، والصنف الثالث ليس متبوعًا إلا بالقياس[١].

و قوله تعالى: «رضي الله عنهم ورضوا عنه» الرضا منا موافقة النفس لفعل من الأفعال من غير تضاد وتدافع يقال: رضي بكذا أي وافقه ولم يمتنع منه، ويتحقق بعدم كراهته إياه سواء أحبه أو لم يحبه ولم يكرهه فرضا العبد عن الله هو أن لا يكره بعض ما يريده الله ولا يحب بعض ما يبغضه، ولا يتحقق إلا إذا رضي بقضائه تعالى وما يظهر من أفعاله التكوينية، وكذا بحكمه وما أراده منه تشريعًا، و بعبارة أخرى إذا سلم له في التكوين والتشريع، وهو الإسلام والتسليم لله سبحانه[٢].

وأما رضاه تعالى فإنَّما هو من أوصافه الفعلية من دون الذاتية، فإنَّه تعالى لا يوصف لذاته بما يصير معه معرضا للتغيير والتبدل، كأن يعرضه حال السخط إذا عصاه، ثمَّ الرضا إذا تاب إليه، وإنَّما يرضى ويسخط بمعنى أنَّه يعامل عبده معاملة الرَّاضي من

(١) الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص٣٨٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٨٨.

إنزال الرحمة وإيتاء النعمة، أو معاملة الساخط من منع الرحمة وتسليط النقمة و العقوبة[١].

ولذلك كان من الممكن أن يحدث له الرضا ثم يتبدل إلى السخط أو بالعكس، غير أنَّ الظاهر من سياق الآية أنَّ المراد بالرضا هو الرضا الذي لا سخط بعده فإنه حكم محمول على طبيعة أخيار الأمة من سابقيهم وتابعيهم في الإيمان والعمل الصالح، وهذا أمر لا مداخلة للزمان فيه حتى يصح فرض سخط بعد رضى، وهو بخلاف قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾ [الفتح: ١٨]، فإنَّه رضا مقيد بزمان خاص يصلح لنفسه؛ لأن يفرض بعده سخط[٢].

٣. قال تعالى: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [المجادلة: ٢٢].

إنّ أعظم ثواب معنوي وجزاء روحاني لأصحاب الجنّة في مقابل النعم الماديّة العظيمة في القيامة من جنان وحور وقصور هو شعورهم وإحساسهم أنّ الله راضٍ عنهم، وأنَّ رضا مولاهم ومعبودهم يعني أنَّهم مقبولين عنده، وفي كنف حمايته وأمنه، حيث يجلسهم على بساط قربه، وهذا أعظم إحساس ينتابهم، ونتيجته رضاهم الكامل عن الله سبحانه[٣].

نعم، لا تصل أي نعمة إلى هذا الرضا ذي الجانبين المادّي والمعنوي، والذي هو مفتاح للهبات والعطايا الإلهية الأُخرى؛ لأنَّه سبحانه عندما يرضى عن عبد فإنّه يعطيه ما يطلب منه، فهو القادر والكريم. وما أروع التعبير القرآني: (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا

(١) الطباطبائي، الميزان، ج٩، ص٣٨٥.
(٢) المصدر نفسه، ج٩، ص٣٨٩.
(٣) الشيرازي، الامثل، ج١٨، ص١١٣.

عَنْهُ) أي أنَّ مقامهم رفيع إلى درجة بحيث أنَّ أسماءهم تكون مقترنة باسمه، ورضاهم إلى جانب رضاه تعالى[١].

٤. قال تعالى: ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٨].

قبل الله تعالى منهم أعمالهم ورضيها عنده، وفرحوا هم ورضوا بما أعطاهم من خير عميم، فالمراد برضاء تعالى عنهم: قبوله لأعمالهم، وبرضاهم عنه: فرحهم بما أعطاهم من فضله[٢].

يعد هذا النوع من أنواع الرضا المتبادل بين الرَّب والعبد هو الغاية الكمالية للإنسان، وهو الغاية القصوى التي يرتجيها كل مسلم هو رضا الله سبحانه وتعالى عنه، وهذا النوع هو الذي شغل العارفين وفرعوا به المسائل وصنفوا فيه الكتب؛ لأنَّ رضا الله تعالى ليس بعده رضا، وبه يكتسب العبد المقامات العليا والنعيم المقيم والسعادة الأبدية، وبه الله تعالى ختم عطاء الصالحين من الجنات التي تجري من تحتها الأنهار ووصفه بأنَّه الفوز الكبير.

المبحث الثالث: حصر رضا الرَّب برضا العبد.

ذكر الله سبحانه وتعالى هذا النوع من الرضا في القرآن الكريم بوصفه نوعًا مختلفًا ومستقلًا عن ما مرَّ ذكره، فهنا الله تعالى يريد منه رضا العبد، وهو بطبيعة حاله يعكس رضا الرَّب عن العبد وإلا لما استقل بذكره وأخصه به، وهذا النوع من الرضا له نماذج في القرآن الكريم، منها:

١. قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا

(١) الشيرازي، الامثل، ج١٨، ص١١٣.
(٢) طنطاوي، التفسير الوسيط: ج١٥، ص٤٧٣.

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴾ [مريم:٥٤-٥٥].

وصف الله تعالى إسماعيل بكونه مرضيًّا، إشارة في الواقع إلى هذه الحقيقة، وهي أنّه قد حاز رضى الله في كل أعماله، ولا توجد نعمة أجلّ من أن يرضى المعبود والمولى والخالق عنه[١]. فنتيجة هذا الرضا هو أنَّ الله تعالى قد أرضاه وجعله مرضيا وقد وصفه بهذا الوصف العظيم.

٢. قال تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً** ﴾ [الفجر:٢٧-٢٨].

أي بما تؤتينه من النعم التي لا تتناهى وقد يقال راضية بما نلتيه من خفة الحساب وقبول الأعمال ﴿**مَّرْضِيَّةً**﴾ أي عند الله عز وجل وقيل المراد راضية عن ربك مرضية عنده[٢].

٣. قال تعالى: ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾ [الضحى: ٥].

قال سيد طنطاوي في تفسيره: «أيها الرسول الكريم سوف يعطيك ربك من خيرى الدَّنيا والآخرة، كل ما يسعدك ويرضيك، من نصر عظيم، وفتح مبين، وتمكين في الأرض، وإعلاء لكلمة الحق على يدك، وعلى أيدى أصحابك الصادقين، ومنازل عظمى في الآخرة لا يعلم مقدارها إلا الله تعالى، كالمقام المحمود، والشَّفاعة، والوسيلة وبذلك ترضى رضاء تامًا بما أعطاك سبحانه من نعم ومنن»[٣].

وقال ابن عاشور في تفسيره: «وجيء بفاء التعقيب في ﴿**فترضى**﴾ لإفادة كون العطاءِ عاجل النفع بحيث يحصل به رضى المعطَى عند العطاء فَلا يترقب أن يحصل نفعه بعد

(١) الأمثل، ج٩، ص٣٣٦-٣٣٧.
(٢) ينظر: الآلوسي، روح المعاني: ج١٥، ص٣٤٦.
(٣) طنطاوي، التفسير الوسيط: ج١٥، ص٤٢٨.

تَربص»[١]. وهو الأقرب لمفهوم الآية على ما يأتي.

ولم يبيَّن ابن عاشور نوع العطاء القريب الذي رضي به النبيﷺ، واكتفى بأنَّه قريب، بيد أنَّ القرآن الكريم قد أوضح نوع العطاء صريحًا؛ إذ قال تعالى: ﴿**إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ**﴾ [الكوثر: ١]، فالعطاء الذي رضي به النبيﷺ هو «الكوثر»، وقد فسروا معنى هو: الخير الكثير[٢]، وقالوا: نهر في الجنة، حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل[٣]، وقالوا: حوضان حوض قبل الصراط وحوض بعده، ويسمَّى كل منهما كوثرًا[٤]. وقالوا أيضًا: إنه نهر خير كثير هو حوض تَرِدُ عليه أمة النبي الأكرمﷺ يومَ القيامة، آنِيَتُه عددُ النُّجوم[٥]. وقالوا: الخير المفرط لكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين[٦]. وقالوا.. وقالوا...

وهذا كله يتنافى مع فاء التعقيب التي عقب عليها ابن عاشور بأنَّها تفيد العطاء العاجل، والنفع الذي لا يرتقب حصول نفعه بعد التربص. يبقى ما هو نوع العطاء الذي عبَّر الله تعالى عنه بأنَّه الكوثر الذي ينسجم مع ما ذكره في الآية الكريمة ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى**﴾. والحكم في هذا نرجع به إلى سبب نزول الآية، فهو يخبرنا عن الكوثر وذلك العطاء العاجل الذي رضي به النبيﷺ.

قال الواحدي في أسباب نزوله: «قال ابن عباس: نزلت في العاص، وذلك أنَّه رأى رسول الله (صلى الله عليه [وآله]وسلم) يخرج من المسجد وهو يدخل، فالتقيا عند باب بنى سهم وتحدثا وأناس من صناديد قريش في المسجد جلوس، فلما دخل العاص

(١) ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج٣٠، ص٣٩٨.
(٢) الطبري، جامع البيان: ج٢٤، ص٦٤٥.
(٣) ابن كثير، تفسير القران العظيم: ج٥، ص٥١٢.
(٤) الآلوسي، روح المعاني: ج١٥، ص٤٧٩.
(٥) البغوي، معالم التنزيل: ج٨، ص٥٨٤.
(٦) البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج٤، ص٤٥٦.

قالوا له: من الذي كنت تحدث؟ قال: ذاك الأبتر، يعنى النبي (صلوات الله وسلامه عليه)، وكان قد توفَّى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وكان من خديجة، وكانوا يسمون من ليس له ابن أبتر، فأنزل الله تعالى هذه السورة»[١].

إذن الآية تتحدث عن مناسبة معينة وحادثة معروفة حددها سبب نزولها، فهي تتحدث عن ذرية النبي صلى الله عليه وآله، وكما نعلم أنَّ الله تعالى قد ابتلى نبيه الأكرم صلى الله عليه وآله، فقد أولاده جميعهم سوى السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، فهي الامتداد الطبيعي لذريته واستمر نسله، والأئمة الأطهار عليهم السلام من نسل السيدة الزهراء عليها السلام هم أولاد رسول الله صلى الله عليه وآله، ولذا قال الفخر الرازي في ذكر هذا؛ «لأن هذه السورة إنما نزلت ردًا على من عابه عليه السلام بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون على مرِّ الزمان، فانظر كم قتل من أهل البيت، ثمَّ العالم ممتلئ منهم، ولم يبق من بني أمية في الدنيا أحد يعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر والصادق والكاظم والرضا عليهم السلام والنفس الزكية وأمثالهم»[٢].

فالسيدة الزهراء عليها السلام تمثل العطاء العاجل الذي رضي به النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء ردًّا على العاص في عيبه على النبي صلى الله عليه وآله، والزهراء بوصفها عطاء جعله الله تعالى ارضاءً للنبي، فقط حصر رضاه برضاها وهذه من أسرار السيدة الزهراء عليها السلام بأنَّها إرضاء للنبي، وأن فيها رضا الله تعالى، وهذا ما توارد ذكره لدى الفريقين من المسلمين.

قال الحاكم النيسابوري في مستدركه: بإسناد متصل عن عمر بن علي، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك»[٣].

(١) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٤٠.
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب: ج٣٢، ص١٢٥.
(٣) الحاكم، المستدرك على الصحيحين: ج٣، ص١٦٧.

وقد روى الشيخ الصدوق في أماليه: «حدثنا الشيخ الجليل أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن موسى ابن بابويه القمي (رضي الله عنه)، قال: حدثنا أبو ذر يحيى بن زيد بن العباس بن الوليد البزاز (رضي الله عنه) بالكوفة، قال: حدثنا عمي علي بن العباس، قال: حدثنا علي بن المنذر، قال: حدثنا عبد الله بن سالم، عن حسين بن زيد، عن علي بن عمر بن علي، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب عليهم السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، أنه قال: يا فاطمة، إن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضبك، ويرضى لرضاك، قال: فجاء صندل، فقال لجعفر ابن محمد عليهما السلام: يا أبا عبد الله، إن هؤلاء الشباب يجيئونا عنك بأحاديث منكرة!

فقال له جعفر عليه السلام: وما ذاك يا صندل؟ قال: جاءنا عنك أنك حدثتهم أن الله يغضب لغضب فاطمة، ويرضى لرضاها؟

قال: فقال جعفر عليه السلام: يا صندل، ألستم رويتم فيما تروون أن الله تبارك وتعالى ليغضب لغضب عبده المؤمن، ويرضى لرضاه؟ قال: بلى. قال: فما تنكرون أن تكون فاطمة عليها السلام مؤمنة، يغضب الله لغضبها، ويرضى لرضاها! قال: فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته»[1].

وكذلك قد ورد في كثير من زيارات أهل البيت عليهم السلام هذا المعنى وهو حصر الرضا فيهم، وان الحق ما رضوه والباطل ما اسخطوه، وهذا المعنى جلي في زيارة «آل ياسين» الواردة عن الإمام الحجة (عجل الله فرجه)؛ إذ يقول: «فالحق ما رضيتموه، والباطل ما أسخطتموه، والمعروف ما أمرتم به، والمنكر ما نهيتهم عنه»[2]. فالحق محصور في رضاهم كما أنَّ الباطل محصور في سخطهم عليهم السلام.

وهَذَا المعنى الَّذِي أكده الإمام الْحُسَيْنُ عليه السلام وأوضحه علنًا عندما عَزَمَ الْخُرُوجَ

(١) الصدوق، الأمالي: ص٢٨٠.
(٢) القمي، مفاتيح الجنان: ص٥٨٧.

إِلَى العراق فِي قَوْلِه: «رضا الله رضانا أهل البيت»، أَيُّ أَنَّ الله تَعَالَى لا يَرْضَى حَتَّى نَرْضَى نحن، مستوحيًا بِذَلِكَ العَمق الْقُرْآني فِي بيانه لمفهُوَم الرَّضى في أعلى مستوياته الكمالية؛ إذ حصر الله سبحانه وتعالى رضاه برضا خلقه، فأراد الإمام الحسين عليه السلام أنْ يبيِّن حقيقة مهمة قبل اندلاع ثورته المباركة، ويجب أنْ يفهمها النَّاس بأنَّ دوره الرسالي الذي سينهض من أجله هو يمثل دور أهل البيت جميعهم، وأنَّه الامتداد الطبيعي لمشروعهم؛ هذه من جهة ومن جهة أخرى يبين لنا عصمته الواجبة، وأنَّ موقفه ليس قابلًا للاجتهاد فيخطأ أو يصيب.

ويكشف هذا الفهم عن أهمية أهل البيت عليهم السلام ومحوريتهم في هذه الدنيا، ودورهم الريادي الذي خلقوا من أجله، كما أنَّه يكشف عن العلاقة التي تربطهم بالله تعالى واستقامتهم واستجابتهم لما يريده خالقهم. وكما ليس خافيًا بان الله (جل جلاله) لا يحابي أحدًا على أحد، ولا يقرب شخصًا على شخص سوى المعيار الأساس الذي وضعه لجميع الخلق الذي على وفقه يقرب ويبعد، وهو التقوى، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣]. فهذا المعيار الأساسي الذي توفر فيهم فكانوا محل طاعته، وخاصته من خلقه.

وقد لا يُسِيغُهُ قوم، ويَرُدُّهُ آخرين؛ إلا أنَّ الحَقِيقَةَ بحسب ما بَيَّنَها اللهُ تَعَالَى؛ فقَدْ حَصرَ رِضاه برِضا نَبِيِّهِ وأهلِ بَيْتِهِ (عَلَيْهِم صَلَوَاتُ اللهُ وسَلامُه) بالبيان الذي أوضحته من طريق البعد القرآني، والقراءة التفكيكية لمفهوم الرضا في القرآن الكريم، والبعد الذي أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام.

نتائج البحث:

وبعد هذا الشَّوط المضني في آيات الله تعالى الكريمة، قد توصلتُ إلى أهم النَّقاط الآتية:

١. عندما يسمع السَّامع للوهلة الأولى يتبادر إلى ذهنه بأنَّه مقام واحد يكمن في رضا الله سبحانه وتعالى عن العبد، لكن وبعد بيان حقيقته؛ وإيضاح ماهيته، تبيَّن بأنَّ الرِّضا مقامات كثيرة وكبيرة، منه ما سميته بالإيجابي، ومنه ما سميته بالسَّلبي، ومنه الخاص بالعبد، ومنه المتبادل، ومنه ما حصره الله تعالى برضا العبد.

٢. قد شغل بالَ العرفاء، وتفكيرهم وكذلك المتصوفة مفهوم الرضا حتى أولوه جل اهتمامهم؛ بل حتى الأنبياء عليهم السلام فقد جاء في لسان زكريا في دعائه لابنه يحيى عليهما السلام قال تعالى: ﴿**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا**﴾ [مريم: ٦]، والسبب في ذلك يرجع بأنَّ الرضا هو فرع المحبة، والمحبة من المفاهيم المقدسة لديهم.

٣. رضا الله تعالى الذي ذكر في القرآن الكريم هو مسألة معنوية وليس مادية، وقد جعل الله تعالى أكبر منزلة من العطاء المادي (الجنة والنعيم)، فقال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ٧٢].

٤. الله سبحانه وتعالى الغني عن عباده، هو القائل تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾ [فاطر: ١٥]، فعندما يضع رضاه برضا عبده الفقير المحتاج إليه، فهذا يعكس مدى الأهمية البالغة من الله تعالى الى ذلك العبد، وعظم منزلته وخطره، وهذا المعنى ثابت النص لأهل بيت العصمة محمد وآل محمد (صلى الله عليهم جميعا).

٥. ترجم الإمام الحسين عليه السلام في قوله: «رضى الله رضانا أهل البيت» البعد القرآني الذي أراده الله تعالى، فهو القرآن الناطق الذي يعكس مراد الله تعالى الحقيقي.

٦. لم أجد تفسيرًا مبررًا لما رأيته في تفاسير أهل السنة إزاء تفسير «الكوثر»، فقد

أوصلها إلى عشرات الآراء والأقوال، والحقيقة واضحة؛ ولكن لا أدري من عدم قول الصواب، وهذا يذكرني في تفسير قول النبي لأمير المؤمنين (عليهما وآلهما الصلاة والسلام): (من كنت مولاه فعلي مولاه)، فقد فسروا كلمة مولى بعشرات التفاسير مع العلم أنَّ المعنى جلي لما يُراد منه.

قائمة المصادر

خير ما نبتدئ به القرآن الكريم.

١. ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى (ت: ٦٦٤هـ)، الملهوف في على قتلى الطفوف، تحقيق: الشيخ فارس تبريزيان: (دار الاسوة للطباعة والنشر- طهران)، ط٣، ١٤٢٥ه.

٢. ابن عاشور، محمد الطاهر التونسي، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: (الدار التونسية للنشر- تونس)، ط١، ١٩٨٤م.

٣. ابن قيم الجوزية، شمس الدين محمد بن أبو بكر (ت: ٧٥١هـ)، مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: تحقيق: عماد عامر: (دار الحديث- القاهرة)، ط١، ٢٠٠٥م.

٤. ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تفسير القرآن الكريم: (دار إحياء التراث العربي- بيروت)، د.ط، د.س.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي (ت: ٧١١هـ)، لسان العرب: (دار الصادر- بيروت)، ط٣، ١٤١٤ه.

٦. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي البصري (ت: ٢١٥هـ)، معاني القرآن: تحقيق: د. هدى محمود قراعة: (مكتبة الخانجي- القاهرة)، ط١، ١٩٩٠م.

٧. الالـوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني (ت:١٢٧٠هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ١٩٩٥م.

٨. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (ت: ٥١٦ هـ)، معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد النمر: (دار طيبة للتوزيع والنشر- الرياض)، ط٤، ١٤١٧ه.

٩. البيضاوي، ابو سعيد عبد الله بن عمر، تفسير البيضاوي: (مؤسسة الأعلمي

للمطبوعات- بيروت)، ط١، ١٩٩٠م.

١٠. الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات: (دار إحياء التراث العربي- بيروت)، ط١، ٢٠١٠م.

١١. الحاكم النيسابوري، أبو عبد الله محمد بن حمدويه (ت: ٤٠٥ هـ)، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ١٩٩٠م.

١٢. الرازي، فخر الدين محمد بن ضياء الدين عمر (ت: ٦٠٤ هـ)، مفاتيح الغيب: (دار الفكر للطباعة والنشر- بيروت)، ط١، ١٩٨١م.

١٣. الراغب الاصفهاني، الحسين بن الفضل (ت: ٤٢٥ هـ): المفردات في الفاظ القران، تحقيق: صفوان داوودي: (طليعة النور- قم المقدسة)، ط٢، ١٤٢٧هـ.

١٤. الشيرازي، ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: (دار إحياء التراث العربي- بيروت)، ط٢، ٢٠٠٥م.

١٥. الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه (ت: ٣٨١هـ)، الأمالي: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت)، ط١، ٢٠٠٩م.

١٦. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت)، ط١، ١٩٩٧م.

١٧. الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠ هـ)، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمود شاكر: (مؤسسة الرسالة- بيروت)، ط١، ٢٠٠٠م.

١٨. طنطاوي، محمد سيد، التفسير الوسيط للقرآن الكريم: (دار المعارف- القاهرة)، ط١، ١٩٩٢م.

١٩. قطب، سيد، في ظلال القران: (دار الشروق- القاهرة)، ط٣٢، ٢٠٠٣م.

٢٠. القمي، عباس، مفاتيح الجنان: (دار القارئ- بيروت)، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢١. النراقي، محمد مهمدي، جامع السعادات: (دار الأميرة- بيروت)، ط١، ٢٠٠٥م.
٢٢. الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري (ت: ٤٦٨ هـ)، أسباب النزول، تصحيح: محمد عبد القادر شاهين: (دار الكتب العلمية- بيروت)، ط١، ٢٠٠٠م.